كلمات روحية للحياة

الجزء الثامن

القمص لوقا سيداروس

~~~~~~~

نحو أسرة أرثوذكسية مقدسة

لنبدأ بفصل الإنجيل الطاهر الذى تقرأه الكنيسة فى صلوات الإكليل المقدس لتقديس الزواج، لأن كل شئ يتقدس بكلمة الله (الإنجيل) والصلاة (رفع البخور وطلب حلول الروح القدس).

«وَجَاءَ إِلَيْهِ الْفَرِّيسِيُّونَ لِيُجَرِّبُوهُ قَائِلِينَ لَهُ هَلْ يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُطَلِّقَ امْرَأَتَهُ لِكُلِّ سَبَبٍ. فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدْءِ خَلَقَهُمَا ذَكَرًا وَأُنْثَى. وَقَالَ مِنْ أَجْلِ هذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ الاثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا. إِذًا لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. فَالَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لاَ يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ» (مت ١٩ : ٣ – ٦).

فالرب يسوع يعود بنا راجعاً إلى البدء.. إلى الأصل.

حينما خُلق الإنسان على صورة الله فى البر والقداسة، هذا هو البدء.

وحينما صنع الله لآدم معينة نظيره وقال أبونا آدم «هذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي» (تك ٢ : ٢٣). هذا هو البدء.

أما ما صار بعد ذلك من قصة السقوط المريرة ودخول الموت إلى العالم وسلطان الخطية وسيادة روح الظلمة.. فقد شّوه الأيقونة الجميلة التى هى الإنسان المخلوق على صورة الله.
~~~~~~~

قساوة القلب:

قال الرب لجماعة الفريسيين حينما سألوه مجربين إياه «فَلِمَاذَا أَوْصَى مُوسَى أَنْ يُعْطَى كِتَابُ طَلاَق فَتُطَلَّقُ؟ قَالَ لَهُمْ الرب «إِنَّ مُوسَى مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تُطَلِّقُوا نِسَاءَكُمْ» (مت ١٩ : ٧ ، ٨).

فالأمر يرجع إلى القساوة التى أصابت القلوب، فصار القلب قاسياً متحجراً، حتى صار يبغض ولا يصفح ولا يطيق العيش مع لحمه وعظامه كما كان منذ البدء.

وإن أردنا أن نتعمق المعنى بالأكثر نجد أن من يطلق امرأته يكون قد أبغضها أولاً، وهو حينما تصل به البغضة إلى هذا الحد، يكون قد كسر أول الوصايا وأعظمها التى هى المحبة «تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ... وَقَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ».

فالموضوع أصلاً هو القساوة والعداوة.. التى قد تصل بالإنسان إلى القتل والإيذاء. فلما تعامل الناموس مع الإنسان المتردى فى هذه القساوة بسبب ملكوت الظلمة، أذن الناموس للرجل أن يطلق امرأته تفادياً لما هو أسوأ وأكثر شراً.

نعمة الخلاص:

تنبأ حزقيال النبى عن زمن المسيا قائلاً: «أَنْزِعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِكُمْ وَأُعْطِيكُمْ قَلْبَ لَحْمٍ» (حز ٣٦ : ٢٦). المسيح رد آدم وبنيه إلى الفردوس، وأعاد خلقتنا من جديد «إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ» (٢كو ٥ : ١٧). فنحن مخلوقون فى المسيح يسوع، و«مَوْلُودِينَ ثَانِيَةً، لاَ مِنْ زَرْعٍ يَفْنَى، بَلْ مِمَّا لاَ يَفْنَى» (١بط ١: ٢٣). وقد اتحدنا بالمسيح كما كان منذ البدء..

لقد صارت الكنيسة – عروس المسيح – «أَعْضَاءُ جِسْمِهِ، مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ» (أف ٥ : ٣٠) بحسب تعبير أبينا آدم، إذ صار المسيح آدم الثانى الذى اقتنى كنيسته واشتراها بدمه.. فى المسيح يسوع صارت لنا أحشاء مراحم ورأفات بدل القلب الحجرى.

فكل من يحيا فى المسيح يسوع لا يستطيع أن يبغض أو يعادى.. كل من هو مولود من الله يحيا فى المحبة.. محبة الله ومحبة القريب «وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ الْوَالِدَ يُحِبُّ الْمَوْلُودَ مِنْهُ أَيْضًا» (١يو ٥ :

١) فلا «يُخْطِئَ وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخْطِئَ لأَنَّ زَرْعَهُ يَثْبُتُ فِيهِ» (١يو ٣ : ٩). وزرع الله لا توجد فيه بغضة ولا كراهية ولا عداوة.

الانحراف أصاب الخليقة الأولى بسبب الخطية التى دخلت إلى العالم بحسد إبليس، والناموس قد زيد بسبب التعديات وكثرة الخطايا.. والناموس هو قانون للعقوبات على التعديات، وليس له قدرة على الخلاص.

أما نعمة الخلاص فهى فى المسيح يسوع الذى فدانا من لعنة الناموس.

الناموس أَذِنَ بالطلاق للإنسان العتيق الساقط تحت عبودية الموت. أما النعمة فهى تعمل للاتحاد والحب الأبدى، وهى تتناسب مع الإنسان الجديد المتجدد والمخلوق والمولود ثانية لملكوت الله.

+ فإن كان واقعنا اليوم – بكل أسف – يشكو من كثرة حالات الشقاق والنزاع الأسرى، والانفصال، والتمزيق والطلاق أيضاً. فماذا نحن عاملون؟

– هل صارت قلوبنا إلى القساوة القديمة والقلوب المتحجرة؟

– هل فقدت خلقتنا الجديدة وصورتنا الجديدة وإنساننا الجديد قوتها وفاعليتها؟

– والسؤال الأكثر ضرورة: وأين السرّ المقدس؟

– وأين عمل الروح القدس الذى يوّحد ويجمع؟

– وأين قول الرب «ما جَمَعَهُ (أزوجه) اللهُ لاَ يُفَرِّقْهُ إِنْسَانٌ» (مت ١٩ : ٦)؟

– هل ملكت الخطية ثانية عوض البر الذى فى المسيح؟

والأعذار كثيرة، والبحث عن كسر وصية المسيح جوهرياً والابقاء على الشكل حادث، والتحايل فى التفسير والتأويل صار مطلباً كريهاً..

ولكن كل هذا لن يعفى الإنسان المسيحى من الوقوف أمام كرسى المسيح. والمطلوب اليوم لا أن نبحث مشاكل الأسرة على أنها مشاكل اجتماعية، بل لنرجع إلى البدء، فهى فى الأصل أسرة مسيحية مبنية على أساس المسيح، وعلى مثال اتحاد المسيح بالكنيسة وكون المسيح رأس الكنيسة ومخلص

الجسد. فإن تعمق هذا المفهوم الروحى فى الأسرة وعشناه بوعى وإدراك، لم يبق موضع للمشاكل «فَإِنَّهُ لَمْ يُبْغِضْ أَحَدٌ جَسَدَهُ قَطُّ، بَلْ يَقُوتُهُ وَيُرَبِّيهِ، كَمَا الرَّبُّ أَيْضًا لِلْكَنِيسَةِ» (أف ٥ : ٢٩).

فإن كان ربنا يسوع المسيح قد رد الإنسان إلى رتبته الأولى، ومركزه الأول، وصورته التى خلقه عليها فى البر والقداسة، وإن كان الخلاص الذى صنعه بصليبه هو بعينه إعادة خلقة الإنسان «إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا. »٢(كو ٥ : ١٧). لذاك الإنسان الجديد والخليقة الجديدة صارت لها. تراجع على ما نُشر على Facebook

الحاجة ماسة اليوم للعمل الجاد لإرجاع صورة الأسرة المسيحية إلى أصلها، بأعمال التوبة والرجوع بالصوم والصلاة. التوبة لها قدرة على ولادة الإنسان كمعمودية ثانية، عندما أهملنا المناداة بالتوبة الحقيقية تفاقمت المشاكل، لأن الشيطان يبذر بذور الزوان والناس نيام.

حلول مشاكل الأسرة تبدأ بالتوبة والرجوع إلى الله، وهذا هو عمل الكنيسة الرئيسى والأوحد، حينما تدخل كل بيت وتنادى مناداة الإنجيل التى كانت من البدء وتقول: «تُوبُوا، لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّماوَاتِ (ملكوت الله)» (مت ٣ : ٢). فالكاهن يجب أن يكون تائباً يقود الناس إلى التوبة.. فعمل الكاهن يختلف جذرياً عن العمل الاجتماعى والطب النفسى و Marriage Counseling فأصل الداء هو الخطية التى يغفلها الجميع إلا الكاهن.. وسبب البلايا هو أن الزوجين لا يعيشان حياة توبة حقيقية، ولا حياة المحبة والاتضاع وإنكار الذات.. بل يتمسكان بعناد شديد بالكرامة والتعلق بالماديات وملذات الدنيا وكل ما هو متعارف عليه عند أهل العالم.

الكاهن بسلطان الروح يستطيع أن يجدد بالتوبة الذين يكرز لهم، كما كان الرسل الأطهار يغيرون الأمم الوثنيين، فيرجعون عن الطبع الوحشى والعادات الرديئة وحياة الجسد «فيتَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِهِمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِهِمْ» (رو ١٢ : ٢). الكاهن يقود نفوس أولاده إلى التوبة والاعتراف المتواتر وتذوق نعمة الله بالأسرار، فتثمر الأسرة ثمر الروح وحياة التقوى.

ثمر الأسرة المقدسة:

الشهداء والقديسون والنساك والعُبّاد والبطاركة القديسون ومعلمو البيعة ومقدمو الشعب والمعتبرون فى السماء وعلى الأرض.. كل هؤلاء نشأوا فى أسرة مقدسة. كل منهم يقال عنه إنه ولد من أبوين بارين تقيين فربياه فى خوف الله.

+ ويكفى أن نتذكر أن الأسرة الأرثوذكسية المقدسة كم قدمت للمسيح!! فجميع الشهداء الأبرار كانوا ثمرة زواج مقدس ونشأوا فى بيوت تقوى. وجميع الآباء القديسين مثال أنطونيوس ومكاريوس وآباء الرهبنة ونساك العالم المسيحى تربوا فى بيوت مقدسة. وجميع الآباء البطاركة والأساقفة ومعلمى البيعة قدمهم للكنيسة أب وأم مسيحيان عائشان فى مخافة الله.

هذه كلها هى ثمار زواج طاهر وأسرة تقية عابدة بالروح. والعكس صحيح، فانهيار الأسرة أو انحرافها يخلف وراءه جيلاً من الحطام، والأولاد العادمى المبادئ والقيم، والذين يصيرون حزناً للكنيسة كلها. فبذار القداسة والمحبة الأخوية والاتضاع وإنكار الذات والتعفف وكل أنواع الفضائل، هذه البذار الحية التى يزرعها الوالدان فى الصغار، بحسب وصايا الكنيسة للأشابين بعد المعمودية المقدسة: «ازرعوا فيهم الخصال الجميلة. ازرعوا فيهم البر والتسبيح. ازرعوا فيهم الطهارة. ازرعوا فيهم الطاعة والمحبة والقداسة. ازرعوا فيهم الرحمة والصدق والعدل. ازرعوا فيهم التقوى والصبر والصلاح».

وهذه البذار تنتثر طبيعياً من الحياة اليومية.. فالبذار تستخرج من الثمر الكامل النضوج.. فإن عاش الوالدان الحياة المسيحية وأنضجوا ثمرها، فإن بذار المسيحية تقع فى الأرض الجيدة التى هى قلوب الصغار، فتنمو نمواً طبيعياً إلى أن تأتى بثمر الروح فى الأولاد.

فالتعليم للصغار ليس هو تلقين المعلومات والمحفوظات فحسب، بل هو بالأكثر قدوة الحياة. والمواقف فى الضيقات تُظهر الوالدين على حقيقتهما، فقد تكشف عن عمق الإيمان والاتكال على الله، وقد تكشف تزييف الحياة وتمثيل الفريسيين.

العقبات والتحديات:

يقف الشيطان يحارب وبلا هوادة كيان الأسرة المبنية على أساس المسيح، كما يحارب الكنيسة ويحارب كل نفس تتعلق بملكوت الله.. هو «كَانَ قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ» (يو ٨ : ٤٤) وهو «كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ. فَقَاوِمُوهُ، رَاسِخِينَ فِي الإِيمَانِ» (١بط ٥ : ٨، ٩). هذه وصية الإنجيل.

ويستغل عدو الخير الظروف التى تمر بها الأسرة المسيحية والتحديات التى تواجهها، فمثلاً الظروف المعيشية والاقتصادية، فإن كانت الأسرة فى ضيق الحال وتمر بظروف ضيقة صعبة فإنه يستغل هذا ليخلق جواً مكفهراً، من الضيق النفسى والحسرة والتذمر والشكوى وعدم الرضى والتطلع إلى الآخرين الذين فى سعة العيش.. وهذا يثير فى النفس القلق، ثم يتحول هذا إلى ضجر من الآخر وعدم الاحتمال، ثم إلى العراك وكثرة الجدل حول الأمور المادية.. شئ مهول لا يمكن حصره.

ولكن كما قلنا سابقاً.. فالأسرة المسيحية رصيدها الإيمان بالمسيح والاتكال عليه وحده، وهذا يجعل القلب فى سلام يتغنى بكلمات المسيح ووعوده.. إنه يعول «طُيُورِ السَّمَاءِ التى لاَ تَزْرَعُ وَلاَ تَحْصُدُ وَليس لها مَخَازِنَ»، ويلبس الزنابق التى فى الحقل أفضل من لبس سليمان فى مجده (مت ٦ : ٢٦ – ٣١).. أفلا يعتنى بنا.. ألسنا أولاده الأحباء وألسنا أفضل من طيور السماء وزنابق الحقل فى نظره؟

وهذا يجعل الشكر والفرح حتى مع أقل القليل..

ألم يقل الكتاب.. «إِنْ كَانَ لَنَا قُوتٌ وَكِسْوَةٌ، فَلْنَكْتَفِ بِهِمَا» (١تى ٨ : ٦).

ألم يقل «لاَ تَهْتَمُّوا لِلْغَدِ» (مت ٦ : ٣٤).

ألم يقل إنه «أَبُونَا وَنَحْنُ لَهُ» (١كو ٨ : ٦، ٢تس ٢ : ١٦) وحتى «شُعُورُ رُؤُوسِكُمْ أَيْضًا جَمِيعُهَا مُحْصَاةٌ» (لو ١٢ : ٧).

هذا هو رصيد الأسرة التى جعلت اتكالها على الله الحى.. حائزة على الغنى الحقيقى الداخلى وكنز الروح فِي الْعَدِيمَةِ الْفَسَادِ (١بط ٣ : ٤).

~~~~~~~~~~~
~~~~~~~~~~~

الرؤى والأحلام

غلالة الجسد كثيفة تصعب الرؤيا من خلالها حتى لأعاظم القديسين.. كقول الرسول: «نَحْنُ وَاثِقُونَ كُلَّ حِينٍ وَعَالِمُونَ أَنَّنَا – وطالما – وَنَحْنُ مُسْتَوْطِنُونَ فِي الْجَسَدِ، فَنَحْنُ مُتَغَرِّبُونَ عَنِ الرَّبِّ... نُسَرُّ بِالأَوْلَى أَنْ نَتَغَرَّبَ عَنِ الْجَسَدِ وَنَسْتَوْطِنَ عِنْدَ الرَّبِّ» (٢كو ٥ : ٦ – ٨)، فالآن نحن ننظر إلى الأمور السماوية كما فى مرآه كما فى لغز، «فَإِنَّنَا نَنْظُرُ الآنَ فِي مِرْآةٍ، فِي لُغْزٍ» ١كو ١٣ : ١٢). ولكننا نتوقع بالصبر والرجاء استعلان مجد بنوتنا لله.. لأننا الآن نحن أبناء الله ولم يظهر بعد ما سنكون، لأن بنوتنا لله سرية مستورة بغطاء الجسد الذى نلبسه، الذى ورثناه من آدم الجسدى أبو جنسنا.

أما ما ورثناه من طبيعة جديدة وخليقة جديدة فى المسيح يسوع، آدم الثانى، فسيُستعلن فى حينه ويظهر فى مجد مجيئه لأننا «سنَكُونُ مِثْلَهُ، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ» (١يو ٣ : ٢).

التعلق للسماويات يجذب روح الإنسان بأشواق لا يُعبّر عنها.. فيظل الإنسان طوال أيامه منجذباً بانتظار العبور إلى أرض ميعاده، حيث فرح اللقيا مع الحبيب، وحيث يكون الكنز هناك يكون القلب. لقد كان حنين القديسين إلى السماء حقيقياً، وشوقهم كان يعذبهم كل يوم وهم منجذبون نحو الوطن، حيث مجد القديسين الذين سبقوهم إلى هناك، وهم فى حال انتظار الوصول.

فلما قربت أيام غربتهم من النهاية وكانت أجسادهم تنحل.. انفتحت لهم السماء ونظروا بالرؤيا من خلال الجسد الذى بدا يتمزق كغلالة كثيفة، تستطيع أن ترى منها شيئاً فى حال تفتق أنسجتها، فتمتعوا فى تلك الأحوال بالنظر إلى ما لا يمكن أن تراه العين.. ونالوا العربون كمقدمة لكمال التنعم وكتعزية عما يعانيه الإنسان وهو يحتضر فى ساعاته الأخيرة.. فتسمح النعمة أن تفتح أمامهم طاقات السماء فيروا المجد الأسنى والفرح الذى لا يسوغ لإنسان أن يصفه أو يتحدث عنه.

فكثير من القديسين سمع أصوات التسبيح السمائى ونغم الملائكة بأذانهم البشرية، وكثير منهم عاين المجد والنور الذى لا يُدنى منه. فكان وهم قد وصلوا إلى حافة الميناء.. وحدود كورة الأحياء أن روائح أرض الميعاد ونسيم المرسى السمائى هب عليهم، لينعموا بما وصلوا إليه بجهادات الصلاة والسهر والصبر والانتظار، وحفظ النفس والجسد والروح فى القداسة والثقة بمواعيد الله.. هذا هو ميراث القديسين.

أرواح الأبرار تسبق بالرؤيا قبل انحلال الجسد لتعاين مواضع القديسين فى السماء، كاستطلاع روحى لما سيكون، لأجل العزاء فى ترك الأحباء والارتباطات الروحية التى تستوجب وجود الإنسان بين من ارتبط بهم فى المسيح.

قال القديس بولس الرسول: «أَنْ أَبْقَى فِي الْجَسَدِ أَلْزَمُ مِنْ أَجْلِكُمْ»، من أجل ذلك قال: «أنا مَحْصُورٌ مِنْ الاثْنَيْنِ» (فى ١ : ٢٣ ، ٢٤) ولكن شهوة انطلاقه كانت تتأجج فى قلبه كل يوم.

مؤازرة أمنا السيدة العذراء:

العذراء أمنا الشفيعة الأمينة لجنسنا، الناظرة إلينا من المساكن العلوية كأم تنتظر كمال خلاصنا ووصولنا بسلام إلى ميناء الخلاص. مؤازرتها وشفاعتها تسندنا عند كمال مشوارنا كما تعلمنا الكنيسة المقدسة. نقول فى صلاة الغروب: «عند مفارقة نفسى من جسدى احضرى عندى ولمؤامرة الأعداء اهزمى ولأبواب الجحيم اغلقى».

فائق عن الوصف هذا الأمر، أن تؤازر العذراء والأم الجهاد الأخير لخروج النفس من ضيقة هذا العالم، وتجاهد عنا قوات الظلمة التى تحاول جاهدة أن تكسب جولة أخيرة، وتخيِّب رجاء النفس فى الخلاص الذى صنعه لنا ابنها وإلهها. وشفاعتها دائماً مقبولة ودالتها من يستطيع أن يصفها.

كان أبونا بيشوى كامل فى أيام مرضه يضع أمامه أيقونتها ينظر إليها كل حين، حتى حين كان يعتصره الألم فلا يستطيع الصلاة، كان يكتفى بأن يركز نظره عليها يستشفع بذات الشفاعات، معدن الطهر والجود والبركات. إلى أن استودع روحه الطاهرة فى يد الرب الذى أحبه، مستنداً على صدر الأم الحنون التى تعزّى بعاطفة الأمومة الفائقة كل من صار لها ابناً بالحق وبالتصاقه بابنها الذى هو الحق والحياة.

أرواح الأبـــرار:

على ما سجل التاريخ من مؤازرة أرواح الصديقين للأبرار الذين يأتى وقت انطلاقهم من العالم شئ لا يُحصى، فالقديس العظيم أنبا أنطونيوس والقديس مقاريوس الكبير وآباء الرهبنة العظام كانوا خير سند لخلفائهم فى وقت انطلاقهم، فرأوهم يحيطون بفراشهم ويزفون موكب انطلاقهم حينما تحمل الملائكة أرواحهم الطاهرة ليصعدوا بها إلى السماء. والشهداء الأبرار مار جرجس وأبو سيفين ومار مينا وغيرهم من الأبطال وُجدوا مؤازرين لرفقائهم فى الشهادة فسندوا جهادهم بقوة إلهية حتى أكملوا شهادتهم.

بل أن رئيس الملائكة ميخائيل له باع كبير فى صراع الشيطان، الذى يحاول جاهداً فى اللحظات الأخيرة أن يزرع شكوكه ويكثف حربه، مظهراً الخطايا والضعفات ومذكراً الإنسان بجهل الصبا وخطايا الشباب وكل ما كان مخفياً.. ورغم أعمال التوبة والحصول على الغفران بدم المسيح وغسل الضمير بدموع التوبة وصدق مواعيد الله. ولكنه الكذاب إذ يُظهر أمام النفس الديون التى كانت عليها، والصكوك التى كانت ضدها، ولو أنها مدفوعة تماماً، ولو أن المسيح يكون قد محاها بدم صليبه. ولكن الشيطان كذاب وأبو الكذاب. فلذلك تشدد الآباء والأبرار برؤى القديسين واطمأنوا بحماية رئيس الملائكة الجليل وغلبوا العدو.

تسليـم الروح بيـد الـرب:

إن التعبير الذى استلمته الكنيسة من فم الرب يسوع عندما أسلم الروح على الصليب غفراناً لكل العالم. قال للآب: «يَا أَبَتَاهُ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي» (لو ٢٣ : ٤٦). وقد صار هذا القول العجيب فى فم الأبرار وهم يرقدون فى المسيح غير منفصلين عنه. فإن كنا «بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ» (أع ١٧ : ٢٨)، كذلك أيضاً «لَيْسَ أَحَدٌ مِنَّا يَعِيشُ لِذَاتِهِ، وَلاَ أَحَدٌ يَمُوتُ لِذَاتِهِ. لأَنَّنَا إِنْ عِشْنَا فَلِلرَّبِّ نَعِيشُ، وَإِنْ مُتْنَا فَلِلرَّبِّ نَمُوتُ. فَإِنْ عِشْنَا وَإِنْ مُتْنَا فَلِلرَّبِّ نَحْنُ» (رو ١٤ : ٧ ، ٨). فإن كانت الحياة فى الجسد محسوبة جملة وتفصيلاً، إنها للرب، فحتى موت الجسد يُحسب لحساب المسيح. لذلك فإن موت الأبرار فيه من العزاء ما يغلب سطوة الموت وخوف الموت ورعبته، لأنهم فى الواقع يستودعون أرواحهم فى يد

أبيهم، كطفل يريد أن ينام فيضع رأسه على كتف أبيه فى قمة السلام والطمأنينة وراحة القلب، لذلك أيضاً يُحسب أن الأبرار يدخلون إلى الراحة.

«سأترك العالم غير آسف عليه» هكذا قال لى أبونا متى المسكين، نيّح الله نفسه، الذى كان بنعمة المسيح قد تحرر من كل ما يربطه بالأرض وتراب الأرض والناس ومجد الناس. وقال لى: «إنه لا يلزمنى شئ منه، ولا اشتهى أن آخذ شئًا ولا يوجد ما يربطنى به أى نوع من الرباطات».

هكذا تحقق رغم فارق القرون من الأزمان قول القديس أغسطينوس الذى قال: «وضعت قدمى على قمة هذا العالم حينما أصبحت لا أخاف شيئاً ولا اشتهى شيئاً مما فيه». يقول المرنم: «حَلَلْتَ (قطعت) قُيُودِي. فَلَكَ أَذْبَحُ ذَبِيحَةَ حَمْدٍ (التسبيح)» (مز ١١٦ : ١٦ ، ١٧).

إن الخروج من الجسد يعد بالنسبة لأولاد الله آخر القيود التى تنقطع، لتنال كمال حرية مجد أولاد الله. يعيش الإنسان فى المسيح فى اختبار الحرية التى حررنا المسيح بها ويجاهد ألا يرتبك بنير عبودية مدى الحياة، لأن طبيعة الإنسان الضعيفة مستهدفة دائماً للعبودية بسبب السقوط الأول.. فما أسهل أن يسقط الإنسان مثلاً فى الادمان والعبودية ولأشياء لا حصر لها. ولكن المجاهد المسيحى حريص على التمسك بحريته فى المسيح حتى لحظة خروجه من هذا العالم.. عالماً أن العبد ليس له نصيب فى ميراث البنين، الذى هو الملكوت الأبدى.

الانطلاق:

«الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ» (لو ٢ : ٢٩). هذه صلاة سمعان الشيخ الكاهن الذى عاين خلاص الله فى وجه يسوع، عندما حمله على ذراعيه، وهو قد أقبل بالروح إلى الهيكل بعد سنوات انتظار، كانت قد طالت عليه جداً. وقد أحس باحساس روحى عميق أنه ظل فى الجسد، كل هذه السنين، كمن حُكم عليه مسجوناً فيه. فصارت طلبته الأولى من المخلص أن يطلقه بسلام من سجن الجسد ليطير كما بجناحي حمامة ويأتى إلى الله كقول المرنم.

وقد ورثت الكنيسة هذه الصلاة النقية والطلبة الطاهرة واستودعتها كذخيرة لكل المؤمنين يتلونها فى الصلاة مساء كل نهار قبل أن يستودعوا أجسادهم للنوم، الذى هو بمثابة الموت الصغير حيث يرتخى الجسد بشبه الموت وتصير جميع أعضاؤه وغرائزه فى سبات.

ما أجمل تدبير الكنيسة هذا حينما تضع الغاية أمام الإنسان كل يوم! لكى يسعى جاهداً للبلوغ إليها، غير واضع آماله فى زوال الدنيا، وغير مؤمل فى شئ زمنى، مادام الزمن يأتى إلى النهاية كمثل ما يحيا كل يوم.. فالصباح مشرق يعقبه الليل المظلم، وهكذا يدرك أنه غريب كسائر آبائه، لذلك يطلب أن يبلغ إلى الوطن السمائى.

~~~~~~~~~~~
~~~~~~~~~~~